الفصل الثاني

معنى الإضافة عند القدماء والمحدثين

تناولنا في الفصل السابق العمليات العقلية التي تحدث في عقل المتكلم حتى ينتج لنا مركباً إضافياً، وكيف نوظفه في تسمية الأشياء ؟ وكيف نبدع في توظيفه في مجالات جديدة لا يتوقعها السامع منه ؟ إنه عنصر المفاجأة الذي يخلقه المتكلم المبدع ويفاجئ السامع به، ولكي يكون انطلاقنا صحيحاً لا بد أن نرى ماذا قال القدماء والمحدثون عن معنى الإضافة ؟

أولاً: معنى الإضافة عند القدماء:

درس القدماء قضية الإضافة من جوانب مختلفة كمركب اسمي له طبيعة خاصة ودلالات متعددة، ولكني سأدرس هنا جانب دلالة الإضافة عندهم فقط.

معنى الإضافة:

قال ابن عقيل[1]: الإضافة تكون بمعنى اللام عند جميع النحويين، وزعم بعضهم أنها تكون أيضاً بمعنى (مِن) أو في، وضابط ذلك: أنه إن لم يصلح إلا تقدير(مِن) أو(في) فالإضافة بمعنى ما تعَّين تقديره، وإلا فالإضافة بمعنى اللام فيتعين تقدير(مِن) إن كان المضاف إليه جنساً للمضاف، نحو: هذا ثوب خّز وخاتم حديد، والتقدير: هذا ثوب من خز وخاتم من حديد، ويتعين تقدير (في) إن كان المضاف إليه ظرفاً واقعاً فيه المضاف، نحو (أعجبني ضرب اليوم زيداً) أي ضرب زيد في اليوم ... فإن لم يتعين تقدير (من) أو (في) فالإضافة بمعنى اللام نحو (هذا غلام زيد، وهذه يد عمرو) أي غلام لزيد ويد لعمر[2].

من هذا يتبين أن الإضافة عندهم هي: الاستغناء بالمذكور لينوب عن المحذوف الذي قدروه باللام أو من أو في بين كلمتي الإضافة، وهذا التقدير جاء لبيان المحذوف الذي يتم به بيان قصد المتكلم ومراده، وتقديرهم اللام كأصل لكل إضافة بيَّنَ مفهوم مصطلح الإضافة عندهم، وهو الملكية، فـ (يد زيد) قدروها بـ (يد لزيد) تأكيداً لملكية زيد لليد.

أنواع الإضافة:

الإضافة عند القدماء علي قسمين: محضة وغير محضة:

غير المحضة: هي إضافة المشابه للفعل المضارع إلى معموله وهذه لا تفيد الاسم الأول تخصيصاً ولا تعريفاً .

والمحضة: هي غير إضافة المشابهة للفعل المضارع إلى معموله، وتفيد الاسم الأول: تخصيصاً إن كان المضاف إليه نكرة، نحو: هذا غلام امرأة، وتعريفاً إن كان المضاف إليه معرفة، نحو: هذا غلام زيد[3].

يقوم هذا التقسيم للإضافة عندهم على العلاقة الدلالة بين الكلمتين؛ فإمّا أن تكون علاقة دائمة فلا ينفلت عنها "إضافة محضة" فتكون العلاقة بين الكلمتين قوية ليست على نية الانفصال، فتكون الكلمة الأولى إمّا اسماً جامداً أو مشتقاً شبيهاً بالجامد وغيره مما ذكره النحاة، نحو: حُسْن الكلام، يد زيد، أشهر الشعراء. وهذا كله يُئَوَّلُ على معنى الملكية فالمضاف إليه يمتلك المضاف.

إن العلاقة الدلالية الناتجة عن هذه الإضافة هي: إما إفادة التخصيص: فقد فهمنا أن هذا الغلام ملك خاص بهذه المرأة في "هذا غلام امرأة"، أو التعريف: فقد تم تعريف الغلام بتحديد مالكه؛ مما جعله معرفاً في "هذا غلام زيد"، فالإضافة فيهما محضة.

---

(١) لم أتطرق إلى حديث النحاة حول الإضافة، واقتصرت على ابن عقيل كنموذج للقدماء، لأن هدف الدراسة بيان دلالة الإضافة فقط.
(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ج٣، ٤٣ – ٤٤، دار الفكر، القاهرة، بدون تاريخ.
(٣) المرجع السابق، ٤٤، بتصرف.

أما غير المحضة: فتكون على نية الانفصال حيث المضاف يعمل عمل الفعل ويغير موقعه من الجملة، فيحمل بذلك دلالات أخرى في تراكيب جديدة، وقد عرفه الأستاذ عباس حسن بأنه: ما يغلب أن يكون فيها المضاف وصفاً عاملاً دالاً على الحال أو الاستقبال أو الدوام، ويسمى بالشبيه للفعل المضارع في العمل والدلالة الزمنية " وينحصر في اسم الفاعل واسم المفعول"[1].

إن العلاقة بين المضاف والمضاف إليه تقوم علي ربط بين كلمتين لإنتاج مركب اسمي مكون منهما يشير إلى شيء واحد كما في (يد زيد، أو كتاب عمرو) فالمقصود من ذلك يد واحدة معينة ومحددة يد زيد وكذلك في كتاب زيد، فغاية الإضافة زيادة تحديد للكتاب ببيان صاحبه، وهو معنى الملكية وهو المعنى المقصود من الإضافة. لقد تناول النحاة جانبين من معاني الإضافة:

الإضافة المعنوية: وتقوم على تقدير الرابط بين الكلمتين بحرف من حروف الجر، وتحديد نوع هذا الحرف حسب ذلك التقدير. فقد قام هذا على أساس معنى الحرف المقدر، وتم المزج بين الكلمتين ليكونا معاً مركباً اسمياً بحذف هذا الحرف، ويمكن تحديد الحرف المحذوف من خلال معنى الكلمتين المتضايفتين وعلاقتهما معاً.

الإضافة اللفظية: يكون فيها المضاف وصفاً (اسم فاعل أو اسم مفعول أوصفة مشبهة) والمضاف إليه معمولاً لذلك الوصف نحو: هذا ضارب زيد الآن أو غدا، هذا معمور الدار الآن أو غدا، هذا رجل حسن الوجه، وتسمى إضافة لفظية لأنها تفيد وصفاً مؤقتاً غير دائم للمضاف إليه، يقول د. محمد حماسة: إن المصطلح الخاص بهذا الضرب من الإضافة "الإضافة اللفظية" يشير بوضوح إلى أن الإضافة إنما هي إضافة في اللفظ المنطوق فقط، ولكنها بحسب المعنى أو العمق ليست إضافة، ويشير أيضاً إلى أن هذا التركيب يكتسب معناه من عمقه لا من سطحه[2].

هذا القول يعني أن الإضافة هنا ليست إضافة حقيقية؛ بل جاءت بناء على ما فرضته أبنية النحو العربي من اعتبارهما كالمتضايفين من حيث الإعراب، لهذا سُميت بالإضافة غير المحضة، حيث الإضافة التي تظهر هنا في النطق لم تعطنا معنى الالتصاق في أصل معنى هذا التركيب (هذا ضارب زيد غدا) أي في عمقه؛ كما نفهمه من كلمة إضافة.

الخلاصة :

إن حديث القدماء حول معنى المتضايفين يتمحور حول نقاط محددة هي :

١) أسماء الإضافة وأنواعها: محضة أو معنوية، أو غير محضة أو لفظية .

٢) العلاقة بين المضاف والمضاف إليه: منفصلة أو متصلة، أي دائمة أو مؤقتة، محضة وغير محضة، هذا الجانب يمثل الجانب الدلالي في القضية، وإن كان يمثل جزءاً صغيراً من دراسة القدماء؛ إلا أنه قد أخذ جانباً كبيراً في دراسة المحدثين، فقد قاموا بإيضاح العلاقة الدلالية بين المتضايفين، التي ستفتح الباب أمام تحليل مركبات إضافية كثيرة ستوظف دلالياً في مجالات عدة تسد ثغرات في اللغة، حيث يقوم المركب الإضافي الذي أبدعناه بمد المعجم العربي بما يحتاجه من دلالات جديدة تعجز عن إيجادها الكلمات المنفردة، لذا يمكن تصور التركيب الإضافي عند النحاة كما في هذا الشكل :

---

(١) النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٧٦، ج٣، ص٦.

(٢) من أنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد عبد اللطيف حماسة، الخانجي، ط١، ١٩٩٠م، ص٤٨.

أنواع التركيب الإضافي عند القدماء

أ) محضة: خالص من نية الانفصال
تسمي: الإضافة المعنوية على
تقدير (من ـ في ـ اللام)
تفيد تخصيصا أو تعريفا:
١ـ تخصيصا: ٢ـ تعريفا:
المضاف إليه نكرة ❖❖المضاف إليه معرفة
(هذه دار رجل) (هذه دار الرجل)

ب)غير محضة :علي تقدير الانفصال
تسمي: الإضافة اللفظية، وهي إضافة
(اسم فاعل ـ مفعول ـ صفة مشبهة)
لا تفيد تخصيصا ولا تعريفا
المضاف إليه مع أل :
١ـ لا تدخله أل.
٢ـ يجوز دخول أل: هذا الضارب الرجل

ثانياً: معني الإضافة عند المحدثين:

مفهوم الإضافة عند الفاسي الفهري:

تناول المحدثون الإضافة من منطلق جديد يقوم على أساس عقلي سليم مستلهم من الفكر القديم، هذا الفكر الجديد يفتح آفاقاً جديدة لفهم أكبر لعملية الإضافة، وصورة أرحب مما رأيناه لدى القدماء، فتبدو العلاقة بين المتضايفين بصورة أوسع لتشمل كل اللغات الطبيعية، إنه مفهوم ينطلق من نظام أعم وأشمل؛ لذا يجب عرضه وتحليله ومحاولة الإفادة منه لفهم قضية أكبر من المنتج (من كلمتي الإضافة والعلاقة بينهما)، وهو قضية الجانب الإبداعي في اللغة وما يصاحبها من عمليات عقلية للوصول إلى منتج جديد، فنرى كيف يعمل العقل في هذا الجانب ؟ فينتج ما لم نسمع به من قبل من تراكيب إضافية ذات دلالات جديدة مستلهمة من أمور حياتنا الحديثة.

يُعرف د. عبد القادر الفاسي المتضايفين ويبين العلاقة بينهما قائلاً: يقيم المركب الإضافي علاقة بين عنصرين اسميين أساسيين في تكوينه، فالعنصر الأول أي رأس المركب هو المضاف، والعنصر الثاني أي الفضلة وهو المضاف إليه، وبما أن العنصر الأول لا ينُّون والثاني يكون مجروراً؛ فإن العلاقة الإضافية تكتسب بذلك سمات تفرزها عن علاقات أخرى ممكنة بين اسمين متتاليين، من بينها علاقة البدلية وعلاقة التمييز، ورأس المركب يأخذ الإعراب المسند إلى المركب بأتمه، وذلك في علاقته بالوظيفة التي يشغلها، أما الفضلة المجرورة فتشغل وظيفة المالك (possessor) أو مض، وتوافق هذه الوظيفة النحوية أدواراً دلالية مختلفة تمثل العلاقة بين المضاف والمضاف إليه:

١- ملكية : كتاب زيد. ٢- احتواء: فنجان قهوة.
٣- مكان: أمير القفار. ٤- شكل ومادة: خاتم ذهب.
٥- منفذ وضحية: قاتل السجين[1].

يشير الفاسي إلى خصائص البنى الإضافية التركيبية والإعرابية وأسماء مكوناتها، ثم ينطلق إلى بيان العلاقة التي تربط بين المتضايفين، فهي إمَّا علاقة ملكية فيكون الأول ملكا للثاني، أو علاقة احتواء فيكون الأول محتوٍ للثاني، أو علاقة مكانية فيكون الأول مرتبطا بالثاني بعلاقة مكانية، أو تكون العلاقة بينهما رابطة بين شيئين:

(١) اللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي، دار تبقال للنشر، ط٤، ٢٠٠٠، الكتاب الأول، ص ١٥٨.

١ـ مادة (ذهب) وشكل (خاتم).

٢ـ منفذ حدث (قاتل) وضحية هذا الحدث (سجين).

تلك العلاقات التي أشار إليها توضح أن كل بنية إضافية تقوم على علاقة دلالية ما بين عنصري هذا المركب الاسمي، سوغت لنا أن نكون هذا البناء التركيبي الجديد.

ويتحدث د. الفاسي عن توارث التعريف في المركب الإضافي في ضوء نظرية تشومسكي مبيناً مكونات المركب الإضافي، وجاعلاً علاقة الملكية هي الأساس في تلك الأبنية الإضافية، بل إنه يسميها باسم هذه العلاقة أي البنى الملكية معلناً عن تصور جديد لها ذاكراً خصائص تلك البنى الملكية قائلاً: أقدم تصوراً جديداً لبنى الملكية؛ التي تعرف في الأدبيات التقليدية بالمركبات الإضافية، وسيأخذ التحليل بعين الاعتبار عدداً من خصائص هذا التركيب وضمنها :

أ) أن المركب يتصدره اسم عار[1].

ب) أن هذا الاسم يحمل الإعراب المسند للمركب بأتمه.

ت) أن هذا المالك يكون في موقع بعد س (المملوك)، وقبل الصفات الناعتة.

ث) أن المالك مجرور .

ج) الرأس الاسمي (المضاف) لا يحمل أداة تعريف (رغم أنه يئول على أنه معرف عادة، عندما يكون المضاف إليه معرفاً).

ح) الرأس الاسمي يئول (عادة) على أساس أنه معرفة أو نكرة بناء على قيمة سمة التعريف في المركب المالك (المضاف إليه).

فهذه الخصائص ممثلة في التركيب التالي:

١ـ (احترقت دار الرجل الواسعة)[2]

ويحاول الفاسي تفسير كيفية انتقال التعريف من المضاف إليه إلى المضاف (دار الرجل)، وكيف يمكن القول: إن المضاف معرفة على الرغم من أنه ليس معرفة؛ لأن المضاف إليه معرفة فقط ؟ هذا التحليل التحويلي كما يرى لتشومسكي وقال به الفاسي يقوم علي اعتبار اللغة وحدات صماء، قابلة للتحليل الرياضي مثلها مثل الأعداد الحسابية، لكن الأمر يرتبط بقضايا أخرى لا تحتاج فيها إلى التحليل الرياضي بمعادلاته المختلفة لتفسير انتقال التعريف من المضاف إليه إلى المضاف، وقد ذكر القدماء تفسيراً لذلك وقال به الفاسي قبل قليل، هو العلاقة الدلالية التي تربط بين المتضايفين وهي علاقة الملكية؛ فالملكية جعلت الأول ملكاً للثاني؛ ولأن الثاني معرفٌ فقد اكتسب الأول منه تعريفه، والإضافة في بعض أنوعها ـ كما قال القدماء والمحدثون ـ تفيد التخصيص، وهو تحديد الشيء الشائع ملكيته بين الناس؛ فتلك الدار من الممكن أن تكون ملكاً لكل الناس حتى يأتي المضاف إليه المعرفة فيخصصها ويحدد مالكها بإضافتها إليه لنقول: هذه دار الرجل، فهي ملك لهذا الرجل دون أحد سواه، وهنا تبدو قيمة تحليل العلاقات الدلالية بين المتضايفين في بيان التخصيص والتحديد للعلاقة بين المتضايفين وإبراز كثير من المعاني التي يتضمنها التركيب الإضافي دون الحاجة إلى معادلات رياضية، وتفسيرات بعيدة عن واقع اللغة العربية ومنطقها الخاص.

---

(١) هذه بعض الإيضاحات لما يقصده د. الفاسي (المركب = المضاف والمضاف إليه، عار= نكرة، الاسم = المضاف ويعرب حسب موقعه في الجملة، المالك = المضاف إليه، المملوك = المضاف).

(٢) المقاربة والتخطيط في البحث اللساني العربي، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دارتوبقال، الدارالبيضاء، المغرب، ١٩٩٠، ص٧٦.

مفهوم الإضافة عند غاليم:

قام د. محمد غاليم بتناول مفهوم الإضافة والعلاقة الدلالية بين المتضايفين بتفصيل أكثر مستلهماً في ذلك آراء القدماء والمحدثين، فانطلق من عرض لأنواع الإضافة عند القدماء:

رأي القدماء في أنواع الإضافة:

يذكر غاليم ـ كما قال القدماء ـ أن الإضافة نوعان (من حيث الدلالة) هما:

أ) إضافة تخصيصية أو إفرادية: نحو: دار الرجل، حيث المضاف إليه حد (determiner) للاسم الرأس، وحيث يحيل المركب كله على كيان مخصص خارج طبقة الكيانات التي يحيل عليها الاسم الرأس، أي أن المقصود بـ (هذه دار الرجل) دار الرجل لا قصره أو ضيعته[1].

هذا القول يحتاج إلى إيضاح أكثر؛ فهذا الصنف (علاقة التخصيص) يضع حداً من خلال المضاف إليه للأشياء التي يمكن أن نطلق عليها اسم دار، فنخصصها لفلان فلم تعد كلمة دار تحمل المعنى العام والشامل السابق، ولكن د. غاليم وقف عند منطقة واحدة في المعنى هي تحديد ممتلكات الرجل فتلك داره وليست قصره، ولكن هناك جانب آخر من التحديد في (دار الرجل) هو تحديد مالك الدار بأنه ذلك الرجل وليس الصبي أو المرأة أو الطفل عندما نقول: دار المرأة / الغلام / الصبي.

ب) إضافة تصنيفية أو وصفية: نحو: دار رجل، حيث المضاف إليه بمثابة نعت (modifier) للاسم الرأس، وحيث يحيل المركب كله على طبقة فرعية معينة داخل الطبقة التي يحيل عليها الاسم الرأس أي أن المقصود بـ (دار رجل) دار رجل لا امرأة أو طفل أو فتاة ...)[2].

هذا المفهوم الجديد للعلاقة بين المتضايفين يجعلنا نعمق الفهم لتلك العلاقة الدلالية، والأسس التي تقوم عليها في ضوء معرفة مستقلة بكل من المضاف والمضاف إليه كل على حدة، وما الذي أجاز لنا أن نجمع بينهما ؟ مستلهمين مناهج التحليل الحديثة.

أولاً: دلالة الإضافة:

قال غاليم: فما دامت البنية الإضافة قائمة على تضايف اسمين، فإن دلالتها تنتج عن التأليف المشترك بينهما، ومن ثمة ضرورة النظر في خصائصهما الدلالية، ويجب أن ينصب الاهتمام على تخصيص أكفى لبنية الاسمين المتضايفين الدلالية، ولكيفية تآلفهما لبناء دلالة المركب الإضافي[3].

إن عملية الربط بين المتضايفين تقوم علي عملية تأليف مشترك؛ بغرض تكوين بناء جديد له دلالته خاصة، لهذا يجب دراسة العناصر الدلالية في هذا المركب الاسمي الجديد وهي :

١ـ دلالة كل كلمة من الكلمتين (المضاف والمضاف إليه) على حدة.

٢ـ كيفية التآلف بينهما لبناء مركب جديد بدلالة جديدة .

٣ـ معرفة الجانب الإبداعي الذي انطلق منه المتكلم المبدع لخلق منتجه الجديد (استعارة ـ مجاز ـ كناية...).

ثانياً: معني الكلمة:

يطرح هذا العنوان السؤال الآتي: كيف يُبنى معنى الكلمة ؟ ومما يتكون ؟

إن معنى الكلمة يتألف من المعلومات المتعلقة بنمطها الدلالي أو مقولتها الدلالية، أي كل المعلومات المرتبطة بهذه الكلمة التي تكون دلالتها، وارتبطت في ذهن السامع بعلاقة **ما** مع أشياء

(١) النظرية اللسانية والدلالية العربية المقاربة، ص٩٥.
(٢) النظرية اللسانية والدلالية العربية المقاربة، ٩٥.
(٣) المرجع السابق، ٩٥.

أخرى تستدعيها في ذهنه عند ذكرها، هي عبارة عن معلومات سابقة ولاحقة حول معنى الكلمة، يكون لها منطقة خاصة بها في ذهنه، في هذه المنطقة نجد كل المعلومات عنها داخل مجال معرفي (cognitif domain).

إن الكلمة تستقى معناها من عدة مداخل تتعاون معاً في خلق المعنى في ذهن السامع هي:

١. الدلالة المعجمية: أي معنى الكلمة في المعجم، إن المعني المعجمي يحتاج إلى مزيد من التمييزات التي تسفر عن مجموعات انتقائية فرعية أدق داخل عناصر الأنماط المذكورة، لهذا نحن في حاجة إلى هذه التمييزيات الخاصة بالكلمة التي لا توجد في المعجم .

٢. التمييزات الخاصة بالكلمة: وهذه التميزات تساعد على تحديد أدق لمعنى الكلمة نحو:

أ) التمييز على أساس الحيوية: كما في كتاب ـ رجل، فالأول ميت والثاني حي.

ب) التمييز بين الكتلة والمعدود في (سمن ودار) فالأول كتلة تعين منطقة غير محددة داخل المجال، فلا نعرف أين تقع الكتلة (كيلو) داخل المجال (سمن) والثانية (دار) التي تعين منطقة محددة داخل مجال الإدراك وتشير إلى مجال محدد الأبعاد، يمكن معرفته وعزله.

ج) التمييز بين الفرد: مثل رجل من الجماعة مثل لجنة تنظيم الأسرة.

د) التمييز: يكون التمييز بين:

١- طبقة الأسماء الحملية (predicative): نحو رجل وماء، هي كلمات تستطيع وحدها أن تشير إلى شيء موجود في العالم الخارجي، فتحمل هذه الكلمة وحدها معنى هذا الاسم.

٢- طبقة الأسماء العلاقية (relational): نحو (أب) و(أخ) تعتبر تابعة، فهي لا تستطيع بمفردها أن تحيل إلى شيء دون أن تكون تابعة لكيان إحالي آخر، فهي تحيل على أفراد يقيمون علاقة مخصوصة بفرد آخر على الأقل، وهنا نحتاج إلى كيان آخر يمكن بالرجوع إليه أن تقوم العلاقة كما في علاقة القرابة، فرأس المركب الإضافي مثل: أب يحتاج مباشرة كياناً آخر يمكن بالنظر إليه استكمال إحالته إلى ابن أو ابنة نحو: أب زيد، أب هند، وكذلك علاقة الجزء بالكل كما في (يد زيد ـ رجل الطفل) الذي تربطه به علاقة عضوية، فهذه اليد والرجل عضوان في جسد زيد والطفل، وعلاقة الشيء بمصدره أو أصله، حيث تطلب الرأس مباشرة كياناً يحيل على مصدره أو أصله نحو: رأى زيد ـ صوت هند[١].

هذه العلاقات (القرابة ـ الجزء بالكل ـ الشيء بمصدره) تسهم بدور بارز في تحديد دلالة المركب الإضافي، فتصبح هذه العلاقات الرابط بين المتضايفين، ويمكن من خلالها إعادة تصنيف المعاني المكونة للمتضايفين في شكل علاقات جديدة تربط تلك العلاقات معاً، وتدل على النمو الفكري والتطور اللغوي والحضاري عند أبناء هذه اللغة .

هناك قيمة أخرى للعلاقة الدلالية؛ يقول د. غاليم: إذا كانت الرؤوس العلاقية بالمعنى المذكور تلعب الدور البارز في تحديد دلالة المركبات الإضافية التي ترأسها فتقلص بذلك إمكانات التأويل[٢]، أي أنها تقلص إمكانات تأويل دلالة المركب الإضافي، مما يجعلنا نحدد المعنى المقصود من المركب الإضافي من بين احتمالات أخرى، بصورة أدق.

---

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية مبادئ وتحاليل جديدة، بتصرف، ٩٧.

(٢) المرجع السابق، ٩٧.

ثالثاً: التأويل:

نعني به محاولة فهم العلاقة بين المتضايفين والمعنى الناتج عن اقترانهما معاً، وتتعدد إمكانيات التأويل في حالة المركبات الإضافية التي ترأسها رؤوس حملية أو متعددة العلاقة، أي رؤوس لا تتطلب مباشرة علاقة مخصوصة، وإنما يمكن أن تدخل في عدد من العلاقات بكيانات أخرى[1]، وهذا التنوع والتعدد أعطى فرصة أكبر للتأويل كما في رجل وماء فيمكن أن تضاف إلى أشياء متعددة، ولكن في كل الحالات المتعددة للمضاف إليه تظل كل منهما تشير إلى موجود في العالم الخارجي هو الماء والرجل، والتعدد جاء من إمكانات إضافتهما إلى عناصر كثيرة مما يؤدى إلى كثرة التأويل والافتراض في المعنى الناتج عنهما، ولتحديد مجال التأويل ومحاولة تأويل المركب الإضافي فإننا نحتاج إلى تفحص أوسع للبنية الدلالية للاسم الرأس، وذلك بناء على أن التأويل ينتج عن خصائص هذه البنية في علاقتها ببنية الاسم المضاف إليه[2]، هذا يعني أننا في حاجة إلى معرفة أكبر بالبنية الدلالية للمتضايفين وخصائصها عندما يكون المتضايفان مستقلين أو منفصلين عن بعضهما، وهناك مجموعة من الخصائص التي نفهم عن طريقها الكلمة عندما تدمج في اللغة؛ هي من أهم مكونات بنية الأسماء والوحدات المعجمية عموما، وهي:

١. **الخاصية الصورية:** أي "هوية" الشيء وما يميزه داخل مجال أوسع، وما يستتبع ذلك من محددات تتعلق بالحجم والبعد واللون والوضع.

٢. **الخاصية التكوينية:** أي علاقة الشيء بمكوناته وأجزائه الذاتية.

٣. **الخاصية الغائية:** أي الغاية من الشيء ووظيفته التي يستعمل من أجلها.

٤. **الخاصية المنفذية:** أي العوامل المتداخلة في إيجاد الشيء أو أصله ومصدره، وما يستتبع ذلك من محددات تتعلق بمنتجه، وبكونه منتوجاً أو نوعاً طبيعياً[3].

واعتبرها غاليم قيوداً دلالية نفهم عن طريقها الكلمة عندما تدمج في اللغة، وتفيدنا في:

١. تحديد إضافة اسم إلى اسم آخر.

٢. تأويل معنى المركب الإضافي.

٣. تحديد القيود الدلالية للكلمة .

ولكنني أختلف مع د.غاليم في تسمية هذه المكونات بالقيود الدلالية، وأعتبرها محددات إدراكية؛ يستعين بها السامع في إدراك الشيء بوضع أبعاد ومحددات له يمكن من خلالها إدراكه، وبناء صورة ذهنية عنه في الفضاء الذهني لهذا السامع، يتم من خلال تلك الصورة الذهنية فهم هذا الشيء والتفاعل معه، فلكي نفهم الأشياء لا بد أن ندركها بحواسنا الداخلية والخارجية، ثم نبني صورة لها في أذهاننا، من ثم نتفاعل معها من خلال صورتها الذهنية، فوجود تلك الأبعاد المختلفة لدينا عند رؤية الشيء ليست قيوداً؛ بل ضرورة نؤديها بطريقة آلية دون أن نشعر بها، ومن خلال تلك الخصائص أو العناصر الإدراكية وما تفرضه على الكلمة من محددات دلالية يمكن أن نفهم لماذا أضيفت هذه الكلمة إلى تلك ؟ ولماذا لا يصلح أن تضاف هذه الكلمة إلى تلك ؟ وقد اعتبرت هذا الأمر بمثابة عملية تكوين أو صناعة للمركب الإضافي وسميتها: (مرحلة التكوين).

---

(١) المرجع السابق، ٩٧.
(٢) المرجع السابق، ٩٧.
(٣) النظرية اللسانية والدلالة العربية مبادئ وتحاليل جديدة، بتصرف، ٩٨.

نموذج تطبيقي على عمليتي التكوين والإبداع الإضافي:

أولاً: مرحلة التكوين:

يمكن أخذ كلمة كتاب في هذه التراكيب الإضافية نموذجاً للتحليل الدلالي للمركب الإضافي

أ ـ كتاب الفلسفة. ب ـ كتاب زيد. ج ـ كتاب الثمانية أجزاء.

رأس الإضافة: (كتاب) تحمل خصائص معينة يقوم المضاف إليه بالإحالة على خاصية من خصائص هذا الرأس (كتاب)، فنجد في المركب (أ) أن المضاف إليه يحيل على خاصية الرأس الصورية باعتبار الكتاب مجموعة معلومات في مجال محدد هو الفلسفة .

وفي (ب) نجد في إحالة على عدة خصائص توجهنا لها كلمة زيد، فقد يكون زيد هو المؤلف، فيحيلنا ذلك إلى خاصية المنفذ، أو خاصية الغائية باعتبار زيد المستعمل للكتاب، أي القارئ له .

وفي (ج) يحيل المضاف إليه الخاصية التكوينية باعتبار الكتاب مكوناً من عدة أجزاء، فتبين من ذلك أن تأويل المركب الإضافي جاء من التأليف المشترك بين بنية خصائص الرأس، ونمط المضاف إليه الذي يستجيب لإحدى هذه الخصائص[1].

يبين غاليم عمل هذه الآلية لاستخراج البنيات الدلالية للرأس (كتاب) قائلاً: إن الكتاب باعتباره اسماً مفرداً نمط دلالي يقوم على بنية من الخصائص المتساوية لكن تركيبه مع اسم آخر في مركب إضافي يفرض تأويله في اتجاه معين باعتبار إحدى خصائص البنية، وتبعاً لنمط المضاف إليه، فالفلسفة معلومات تفرض تأويل (كتاب الفلسفة) على شيء فيزيائي يحمل معلومات تبعاً للخاصية الصورية، ويستعمله (زيد) لغاية القراءة، تبعاً للخاصية الغائية، أو يؤلفه (زيد) تبعا للخاصية المنفذية، وعن سبب تعدد التأويل في (كتاب زيد) يقول: إن ما يسمح بتأويل (كتاب زيد) بالإحالة على الخاصية الغائية أو المنفذية أن المضاف إليه من نمط إنسان يمكنه أن يقرأ أو يؤلف، فهذا يعني أن المضاف إليه لا يقوم بتحديد الخاصية المطلوبة من خصائص المضاف فحسب، بل إنها يمكنها أن تختار أكثر من خاصية من خصائصه بناء على طبيعتها هي (أي المضاف إليه) [2]، فلو قمنا بتحليل كل مركب إضافي بهذا الشكل لأدركنا سر العلاقة بين المتضايفين في مرحلة التكوين، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الإبداع كما سنرى.

ثانياً: مرحلة الإبداع الدلالي:

تأتي مرحلة الإبداع بعد مرحلة تكوين المركب الإضافي بتحديد الاسمين المكونين له؛ حيث يوظف المتكلم المركب الإضافي للدلالة على معان جديدة، ربما يكون بعيداً كل البعد عن المجال الدلالي للكلمتين كمكونين أساسيين لمعنى اللفظين المتضايفين، ويرجع هذا إلى القدرة الإبداعية لدى المتكلم على الربط بين الأشياء، ويبدو ذكاؤه في إظهار هذه العلاقات التي ربما كانت خفية على البعض وخلق علاقات بينهما لم تكن موجودة من قبل، وبذلك يكون المتكلم قد ولَّد دلالة جديدة لهذا المركب الإضافي، يستعين في ذلك بوسائل اللغة المختلفة من استعارة وكناية ومجاز، وهذا الأمر سوف يظهر من خلال جانب الدراسة التطبيقية على عبارات ثمار القلوب للثعالبي، حيث تبدو المركبات الإضافية في واقع الاستعمال الفعلي بمعانيها المختلفة، فتظهر علاقات دلالية جديدة ومختلفة حتى عن ما ذكرها المحدثون .

---

(١) المرجع السابق، ٩٩.

(٢) النظرية اللسانية والدلالة العربية مبادئ وتحاليل جديدة، ٩٩.

مقارنة بين مفهوم غاليم عن الإضافة وعلم النفسي العصبي:

د.غاليم: درس غاليم مجموعة من المفاهيم ليصل من خلالها إلى تحليل دقيق للعلاقة الدلالية بين المتضايفين، تقوم على استخراج المكونات الدلالية للكلمتين وفرزها؛ لبيان سر ارتباطهما معا، إن أساس تحليل د.غاليم يقوم على دراسة وتحليل لكيفية تكوين العلاقة الدلالية داخل البنية التصورية للمتكلم ـ كما سنرى ـ ولكن البنية التصورية التي أقام عليها تحليله هي عملية عقلية لأنها تتصل بكيفية بناء الصورة في عقل المتكلم .

علم النفس العصبي: يقوم هذا العلم بالدخول بعمق في تحليل المركب الإضافي بدراسة العمليات العقلية التي تتم داخل عقل المتكلم، وما يصاحبها من تحليل نفسي عصبي ودراسة لتحرك الخلايا العصبية، نتيجة تأثير مثير ما ـ داخلي أو خارجي ـ عليها ودور تلك الخلايا العصبية في ذلك، وكذلك الناقلات العصبية التي هي مركبات الكيمائية مختلفة؛ لكل نوع منها دور في تحديد المعنى الذي تنقله إلى عقل المتكلم، نحو مركب "الأدرينالين" الذي ينقل إلى العقل الإحساس بالتوترات العصبية التي تصيب الإنسان، وماذا يحدث بعد نقل هذا الإحساس إلى العقل، ودر هذا النوع من الإحساس في اختيار المتكلم لنوع المركب الإضافي المناسب لوصف تلك الحالة الانفعالية التي يعيشها هذا الإنسان الآن، مما يجعل المتكلم يطلق هذا الاسم على هذا الشيء أو الشخص دون سواه من المركبات في إطار عملية خلق وإبداع معقدة؛ تتم دخل عقل المتكلم تشترك فيها عناصر كثيرة من علوم شتى.أهمها: علم النفس، وعلم الأعصاب، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم اللغة.

مثال:[1] التقي "عماد" بصديقه "كامل" فأخبره كامل أنه سلم أسرار عمل (بنية حسنة) إلى عدوه "زيد" فقال له عماد ـ على الفور ـ : أنت ابن حمار.

ماذا حدث في عقل عماد في تلك اللحظة ليطلق هذا المركب الإضافي على صديقه ؟ كيف تمت تلك العملية العقلية لإنتاج هذا المركب الإضافي ؟ هل هي عملية بناء تصوري أو هي عملية نفسية عصبية لغوية، اشتركت في صياغتها وصنعها كل تلك العلوم مجتمعة، قام كل علم فيها بدوره الخاص، إن الدراسة والتحليل لتلك العملية تبين كيف تم ذلك ؟

تحليل الحوار: لقد فاجأ كاملُ صديقه بهذا الخبر، فاستقبله بحواسه الخارجية متمثلة في حاسة السمع، التي نقلت هذا المثير الصوتي إلى الخلايا العصبية فتأثرت به خلاياها العصبية وما بينها من مواد كيميائية تسمى الناقلة العصبية؛ فتحرك ذلك المركب الكيميائي "الأدرينالين" لينقل ذلك الإحساس بالتوتر والاضطراب العصبي إلى الخلايا العصبية المجاورة للمادة الناقلة لتصل عبر تلك الخلايا العصبية إلى عقل المتكلم (غرفة العمليات)، فاستقبل العقل هذا الانفعال فبني داخله تصوراً حول هذا الحدث وفاعله (الأساس القضوي التصوري)، ثم قام المدخل الدلالي بعمليات التشفير اللغوية ويكون المدخل الدلالي جزءاً مختاراً للأساس القضوي، فيتجه المتكلم إلى خزانته اللغوية متمثلة في معجمه الذهني، فيختار منه المركب اللغوي المناسب لهذا الحدث، لكن لم يرض عقله (تحت تأثير هذا الانفعال الشديد) بكلمة واحدة أو اسما واحداً يطلقه على هذا الشخص، لقد طغى هذا الانفعال على كل علاقة الصداقة التي بينهما وسنين المحبة، ليختار له اسما؛ جمع فيه كل صفات الغباء؛ بل هو نموذج للغباء في كل عقول البشر، بل جعله الحق تبارك وتعالى نموذجاً للغباء وهو الحمار الذي يحمل الكتب دون أن يدري ما فيها من علم، إن صاحبنا المنفعل يقع تحت تأثير كم كبير من

(١) هذا مثال تخيلت من خلاله كيف تعمل الخلايا العصبية في نقل المدركات إلى العقل وتفسرها.

المركب الكيميائي "الأدرينالين" الذي ينقل إلى عقله الإحساس الشديد بالغضب، مما جعله لا يكتفي بإطلاق اسم حمار علي صديقه عند تسميته؛ بل يصل إلى أكثر من ذلك، وهو نسب هذا الشخص ليبين من أين أتاه الغباء لقد ورثه عن أبيه، لذا نجده عند تسمية صديقه يقول له: أنت ابن حمار، ليعبر عن ذلك الانفعال من خلال مركب إضافي قام على علاقة القرابة بين شخصين أحدهما أب والثاني ابن، فهي علاقة قرابة، تربط بين حيوان وحيوان آخر تعرف بعلاقة القرابة، ولكنه يبدع فيها فيوظفها في مجال آخر، وهو مجال الجنس البشري بإطلاقها على إنسان، فينقل لنا هذا المركب الإضافي إحساس الانفعال الذي حدث داخل عماد عند وصفه لصديقه بإطلاق هذا المركب الإضافي عليه. ونحاول من خلال هذا الشكل أن نوضح كيف تمت العمليات العقلية لإنتاج هذا المركب[1]:

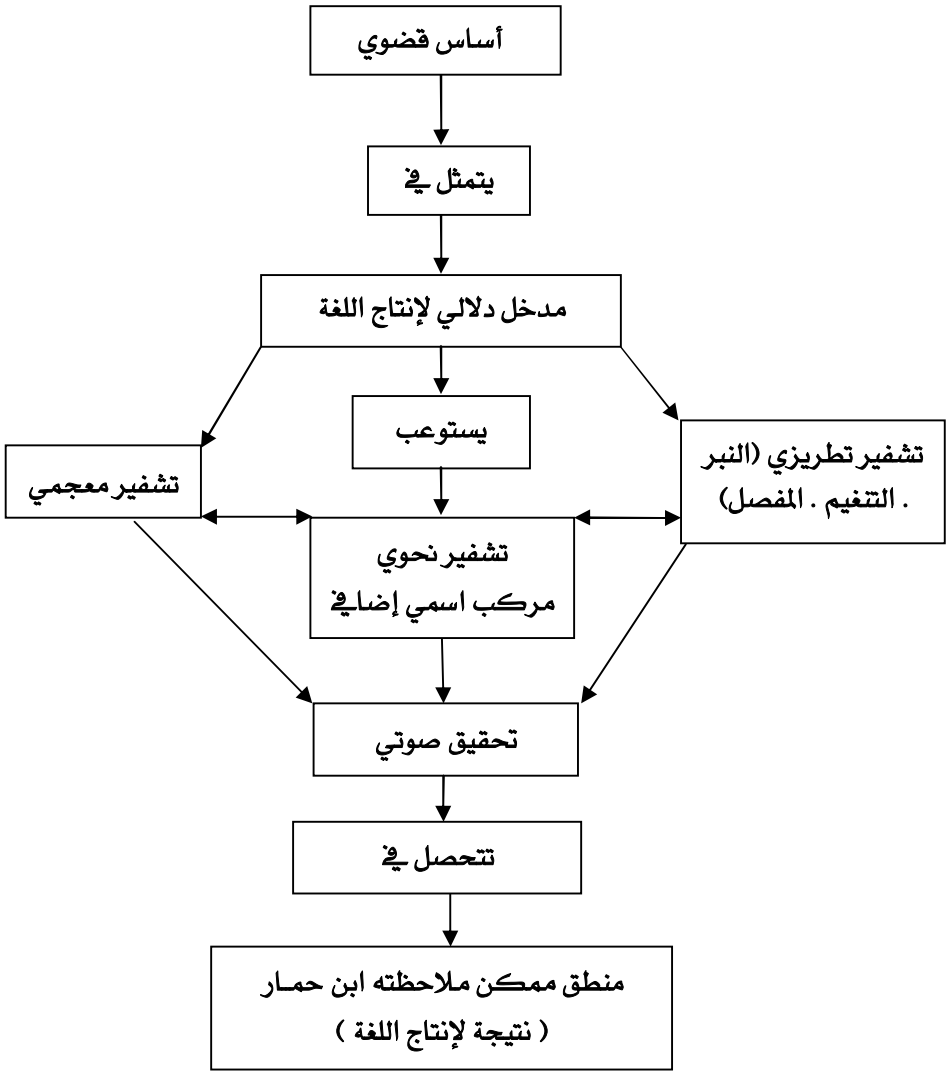

إن الإضافة لها معان متعددة عند القدماء والمحدثين هي:

أولاً: عند القدماء: يرى القدماء أن الإضافة على قسمين: محضة وغير محضة، فالمحضة: غير إضافة المشابه للفعل المضارع إلى معموله، وتسمى إضافة معنوية، وغير المحضة: إضافة الوصف المذكور، وتسمى الإضافة اللفظية؛ فيكون المضاف صفة (اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة) والمضاف إليه معمولاً لتلك الصفة. وقد لاحظ د. حماسة العمق في هذين القسمين فقال: ومن الملاحظ

(١) راجع الصورة الأصلية لهذا التقسيم في كتاب: مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٤.

أن المصطلح الخاص بهذا الضرب من الإضافة وهو الإضافة اللفظية يشير إلى أن الإضافة إنما هي إضافة في اللفظ فقط، ولكنها بحسب المعنى أو العمق ليست إضافة، ويشير أيضاً إلى أن هذا التركيب يكتسب معناه من عمقه لا من سطحه[1].

ثانياً: عند المحدثين :

وهذا ما قال به المحدثون مثل ديريو (١٩٩٠)[2] من أن العلاقات التي تدل عليها بنيات المركبات الإضافية تنقسم إلى علاقات ساكنة وعلاقات غير ساكنة، فالساكنة كما في كتاب زيد، أما غير الساكنة فهي التي تدل عليها البنيات التي يكون رأسها شبه فعل مثل المصدر أو اسم الفاعل أو اسم المفعول، ومن العلاقات الساكنة التي تضاف إلى البنيات السابقة علاقة المحلية نحو حضور القاعة، فيدل الاسم المضاف إليه على محل، أما العلاقات غير الساكنة فتبنى بين الرأس وما يضاف إليه على نفس ما تبنى عليه العلاقة بين الفعل (أو المحمول) وموضوعاته نحو:

للمنفذ وللمُعاني وللضحية تباعاً:

أ) غناء هند. ب) حزن زيد. ج) تدمير المدينة.

العلاقة المتحركة: ومن هذه الرؤوس غير الساكنة رؤوس ذات أنماط دلالية مركبة تمكنها من التعدد الدلالي مثال ذلك الرأس (بناء) في مركب إضافي: بناء الدار، التي يمكن أن تحيل على النمط بأتمه كما في (تم بناء الدار في ثلاثة أشهر)، أو على السيرورة أي على فعل البناء كما في (كان بناء الدار متعباً وصعباً)، أوعلي الحالة أي على نتيجة السيرورة كما في (يوجد بناء الدار في الشارع الآخر) فهي علاقة بين الحدث ومعموله (اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة) فهي ليست علاقة ملكية، وهي علاقة غير ساكنة بل متغيرة؛ إن هذا الرأس (بناء) أعطى فرصة أكبر لتوليد دلالات متعددة تدل جميعاً على حركة .

العلاقة الساكنة: في مقابل هذه العلاقات غير الساكنة توجد العلاقات الساكنة نحو(يد الرجل ـ مكتب الرئيس ـ سيارة الرئيس ـ أب زيد ـ أب هند ـ رجل الطفل ـ صوت هند ـ رأى زيد ـ كتاب الفلسفة)؛ فالعلاقة بين الرأس والمضاف إليه علاقة مستقرة ساكنة غير متغيرة، فهي في العمق تعد إضافة محضة كما ذكر القدماء، وقد جاء لها الثبات من أن العلاقة بين أب وزيد لا تتغير فهو دائماً أب لزيد، إذن الذي حدد نوع العلاقة (ساكنة وغير ساكنة) هو الرأس (البناء ـ أب ـ مكتب) في هذه التراكيب السابقة.

قال د. غاليم: وإجمالاً فإن النظر في البنية الدلالية للرأس وللاسم المضاف إليه، يمكن أن يسمح بتفصيل أنماط العلاقات الدلالية في البنيات الإضافية بشكل أوسع وأدق مما يوجد في أغلب الأنحاء، ومنها التقليدية التي لم تقف بما فيه الكفاية عند بنيات الرؤوس وما يضاف إليها)[3].

وهذا يجعلنا نعيد النظر في تلك العلاقات الدلالية بين المتضايفين وكيف تعددت ؟ وما مسوغات هذا التعدد ؟ لنقول: إننا لنحدد الدلالة الناتجة عن اجتماع كلمتي الإضافة يجب أن ننظر إلى:

١ـ البنية الدلالية للمضاف.

٢ـ البنية الدلالية للمضاف إليه.

---

(١) من أنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد عبد اللطيف حماسة، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠، ص٥.

(٢) نقلا عن د. غاليم، ١٩٩٩، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ٩٩.

(٣) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ٩٩ ــ ١٠٠ .

٣ ـ السياقات التركيبية والدلالية المختلفة التي يرد فيها اللفظان.
٤ـ قدرة الوحدة المعجمية على ضم معان متعددة.
٥ـ قدرة الأسماء على إسقاط أي معنى من معانيها في أي سياق تركيبي، وما دلالته ؟
٦ـ العلاقات الدلالية في البنيات الإضافية بشكل أوسع وأدق.